ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Maryam Muhammad Jassim

/ University of Tikrit/ College of Education for Human Sciences

Nasser Ezzat Abdel Rahman

/ University of Tikrit/ College of Education for Human Sciences

* *Corresponding author: E-mail* : nasir.a.abed@st.tu.edu.iq

Keywords:
Duality
Love
Hate
Poetry
Ibn Nabataht

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 4 Jan. 2022
Accepted 17 Feb 2022
Available online 29 Nov 2022
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2022 COLLEGE OF Education for Human Sciences, TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

The Duality of Love and Hate in the Poetry Of Ibn Nabataht al-Saadi (d. 405AH)

A B S T R A C T

This research deals with the duality of love and hate and its representation in poetry according to different aspects of life. This duality is a symbol of feelings that have their impact on the body, soul, and human values. Ibn Nabataht's poetry is an example of this duality during Abbasid era, it reflects on people's life and their conditions.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.11.2.2022.05

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for

ثنائية الحبّ والكرّه في شعر ابن نباتة السعدي (ت 405 هـ)

أ. د. مريم محمد جاسم/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ناصر عزت عبد الرحمن/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

يتناول هذا البحث بعنوان ثنائية الحب والكره في شعر ابن نباتة السعدي (ت 405 هـ) شاعر عباسي من القرن الرابع الهجري ولد ببغداد عربي الأصل ، وله ديوان شعر ضخم ، وتهدف هذه الدراسة لإظهار ثنائية الحبّ والكرّه في شعره ، وتشمل نواحي الحياة ، فهذه رمز للمشاعر ، والعاطفة كما تعكس التأثير

على الجسم ، والنفس ، والقيم الإنسانية في الكشف عن هذه العاطفة في المجتمع العباسي في ذلك الوقت مع تميز هذه المدّة بعدم الاستقرار ، وسيطرة الأجنبي على مقاليد الحكم ، فكان ابن نباتة خير من يمثل تلك المدّة في أشعاره ، فكان يراقب الناس ، ويدون أحوالهم .

الكلمات المفتاحية: ثنائية، الحب، الكره، ابن نباته

المقدمة

الحمدُ للهِ رب العالمين والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ وآلهِ وصحبِهِ أجمعين.

أما بعد :

فتعد الثنائية في الشعر إظهارًا لجماليات النص عبر الشيء ، وضده ، فتخرج محاسن الأضداد ، وحظيت الثنائيات الضدية بعناية الباحثين ، والدارسين ، وهي من أبرز الظواهر الفنية ، والتي يمكن ملاحظتها من تجارب الشعراء ، وكان لها أثر في ظهور دراسات فنية ، وإبداعية تضفي جمالاً في البنية الشعرية ، وبحسب تعامل الشاعر باللغة ، والمفردات ، فينتقل في الدلالات من الغموض إلى المباشرة ، وعكس ابن نباتة الواقع الذي يعيشه برؤية تكشف عن مواطن الجمال في النص ، وزخر الشعر في الثنائيات الضدية المستمدة من الواقع ، وصنوف حياتهم اليومية ، وكان ابن نباتة من الشعراء الذين لهم صوت ، ومكانة في المجتمع .

لكن في الغالب نجد الثنائيات كثيرة في شعره ، ولها دور هام ، وبارز في الشعر بصورة عامة ، فهي تمثل الجانب الأساس في إظهار محاسن الأضداد .

وتعد ثنائية الحبّ والكرّه من الثنائيات التي تظهر العاطفة ، والانفعالات الوجدانية، وتكون على مساس بالأوضاع الاجتماعية ، وأحوال الناس في ذلك الوقت .

ولقد صور الشاعر الثنائية بأشكال فنية ، وإبداعية ، وقدرة تحاكي مواطن الإحساس لدى الناس ، ومشاعرهم ، فلم تكن فكرة توظيف الثنائية في الشعر وليدة اللحظة بل كانت قديمة في الشعر العربي .

ثنائية الحبّ والكره

ترتبط ثنائية (الحبّ والكره) بالأغراض الشعرية أولاً ، إذ وظفها الشعراء في قصائدهم ، فجعلوا الحب في الغزل ، والكره في الهجاء ، ومن ثم عبرت هذه الثنائية عن وجدان الشاعر ، وخلجاته ، وأحاسيسه وثانياً ، فانعكس ذلك على شعره ، فولدَ صراعًا في مختلف جوانب الحياة [1]، فأثر في النفس البشرية ، ومكامنها ، وعلى فيض المشاعر الصادقة ، فتتفق الأرواح ، والقلوب ،

وقد قَالَ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : ((الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)) [2].

ويبقى (الحبُ والكرهُ) في الشعر العباسي واضحَ المعالمِ لما له من تأثير في النفوس في شحن العاطفة [3] ، ونجد لهذه الثنائية حضورًا في شعر ابن نباتة السعدي على الرغم من قلة الغزل، والهجاء في شعره ، فقد جاءت في قصائده بشكلٍ مثير [4] ، فهو تعبير عن الانفعالات ، ((ولا يمكن أنْ يكونَ البغض ، والحب بمثابة تجاذب ، وتنافر يخضعان للانعكاس النفسي فقط ، بل أَنَّ الاختيار ، والحرية يظهران بجلاء في هذه الثنائية)) [5].

والحبُّ من الصفات الحسنة التي جعلها الله سبحانه وتعالى في البشرية ، وليس الحب بين البشر ، فحسب ، بل حبَّ المؤمنين لله سبحانه ، قَالَ تَعَالَى :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [6].

فالحبُّ غريزة إنسانية ، وميول إتجاه المحب ، وتوافق روحي يصل إلى حدّ الإغراق ، والإفراط ، فينعم الإنسان بالطمأنينة ، والاستقرار [7]، وتبقى الذات المحبة تحس بنقص اللذة ، والرغبة إلى الآخر لتشكّل منطقًا فكريًا ، ونفسيًا[8] في محاولة لإقامة الواقع المثالي لتصل إلى المخاض الوجداني الفردي [9]، والشاعر يجسد مشاعر الحبّ في المرأة ، ويصورها بصور فنية يرسمها في قصائده تدل على رؤيته ، وتجربته الشعرية[10] ، والحب دائماً يدعو إلى البناء ، والألفة[11]، وعلاقات نبيلة ، ونقيض ذلك يكون البغض ، والكره ، فيدعو إلى الهدم ، والغضب ، والصفات السيئة للقيم الإنسانية التي أقرها الإسلام ، ودعا لها ، والضغائن تترك في القلب آثارًا سلبية ، وآلامًا ، وحزنًا ، وهجر الحبيب قد يؤدي إلى مغادرة المكان الذي يعيش به لكي ينسى الذكريات ، والأيامُ الجميلة [12] التي قضوها سويةً ، ونلمس ثنائية (الحب والكره) في قصائد أبي نصر ابن نباتة في إظهار فنه الشعري ، فقال يمدح علي بن ديرزيست بن المرزبان [13]:

[من الطويل]

فإنْ كنتَ قلبي فابغِضِ الحُبَّ طائِعاً ... وَدَعني من بُعدِ الأَحبةِ والقُربِ
وإنْ كنتَ تأبى ذاكَ فاعلمْ بأَنَّهُ ... أَبى المجدُ إلاَّ أَنْ أَكونَ بلا قَلْبِ
أَما لو تَخَيّرتُ الهَوى لمنحتُهُ ... كمالَ عليَّ أو سلوتُ عن الحبِّ

قيد الثنائية التي بين الحب من جهة ، وبين الكره من جهة أخرى بأسلوب الشرط بـ(إنْ كنتَ)، وكررها في موضعين ، فأحدث إيقاعًا ناجمًا عن صدى موسيقي أسهم في مرتكزات دلالية، ويكشفُ النص عن الثنائية الضدية (الحب والكره) في قوله :(فابغِضِ الحُبَّ) ، فهو يأمرُ

القلبَ بالطاعةِ ، والرغبة في كره الحبِّ ، فالشاعرُ يريدُ من القلبِ أنْ يدعه من (بُعدِ الأَحبةِ والقُربِ) من أجل إظهار مكامن (الحب والكره) ، وتجله بين المحبين ، وتبرز لنا الثنائية المضادة (البُعدُ – القُربُ) ، ويكونُ البعد في الكره ، ويكون القربُ في الحبّ ، وهذا جوهر العلاقة بين (الحب والكره) ، وجانس الجناس الاشتقاقي بين (الحُبَّ – الأَحبةِ) ليضفي على النص نغمًا موسيقيًا ، ويبدو أنَّ الشاعرَ أتعبه (الحبّ) ، فهو يريد التخلص منه ، والابتعاد عنه ، فكشف عن معاناته ، وإنَّ القلبَ لا يطيعه ، فعمد إلى توجيه الأمرُ إليهِ ، إذ صرح، (وإنْ كنتَ تَأْبى) في خطابه إليه ، وأخفى مشاعر جياشة في صدره ، إذ ينسجها وعي ، وإدراك لإيصال فكرة منسوجة بدقة تستميل ، وتشد فكر المتلقي ، وجانس بين (تَأْبى – أَبى) جناسًا ناقصًا ، فأنتجَ وقعًا موسيقيًا ، وجمالاً إيقاعيًا ليثري النص بوظيفة دلالية ، وصرح بـ(المجدُ) ، فيرفض ألاَّ يكونُ الشاعرُ (بلا قَلْبِ) ، ولكن كيف يعيش ابن نباتة بدون قلب ؟ ، ويرفده بألفاظِ الحب ، والغزل (قلبي – الحُبَّ – الأَحبةِ – القُربِ – الهَوى) ، ليدلَ على عدمِ كتمان الشاعر (للحبّ) ، وهو أحد طرفي ثنائية (الحب والكره) ، إذ كررّ كلٍّ من (الحبّ) ، و(قَلبِ) مرتين، وهذا التكرار يفيد التنبيه ، ويعطي حسًا موسيقيًا أسهمت في معطيات ، فأحدثت نوعًا من التنغيم الإيقاعي ، وأعطى إحساساً أنَّ قلبَ الشاعر مليء بالمتاعب ، والأحزان ، فهو يعاني من الأحبة ، ووظف الأساليب للإفصاح عن ذلك ، ووظف (أما لو) لو حرف الامتناع ، وذكر (تَخَيّرتُ الهَوى) ، فهو يريد فرصة للتخيير في الهوى للتنفيس عن مشاعره ، وأحاسيسه ، والهوى يمثل الحب ، وهو أحدُ طرفي ثنائية (الحب والكره) ، والتي أرفدها بمدلولات تفصح عن مقدرته اللغوية ، وأساليب فنية في جو تقنية التضاد ، وأشار إلى (سلوتُ عن الحبِّ) ، فهو يوحي بالهجران عن الحبِّ ، وهذه دلالة تحيلنا إلى طرفي ثنائية (الحب والكره) ، فالهجر يكون في الكره ، وهو أراد أنْ يوصلَ فكرة إلى المتلقي بأنَّه ليس له رغبة في الحبّ بل هو يكرره ، وهذه حالة مرتبطة بالحالة النفسية التي يعيشها الشاعر ، وتعبر عما بداخله من مشاعر ، وينقلنا إلى لوحة فنية أخرى في مطلع قصيدة قالها في قاضي القضاة أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف [14]: **[من الطويل]**

دَعُوا شَبَحي في الحبِ يَخفى ويظهرُ ولا تَعذلوني والصَّبابةُ تَعْذرُ
فإنَّ الذي حملتموه ملامكم فتىً ظهرُهُ من حادثِ الدهرِ موقرُ
تلومون فيكم كلَّ شيءٍ صنعتُم سوى اللؤم فيكم يُستفادُ ويُشكرُ

يبدأ الأبيات بفعل الأمر (دَعُوا) ، ويبدو أن للشاعر شَبحاً يتحرك ، ويذهب إلى أي مكان

يريده (في الحبّ) الذي هو ضد الكره ، وهذا من فلسفته التي ؛ نلمسها في شعره ، إذ ذكر (الحبِ) ، وهو أحد طرفي ثنائية (الحب والكره) ، فعمد الشاعر إلى إظهار أحد طرف الثنائية، وذكر (كلَّ شيءٍ صنعتُم) ، فهو يرد على الذين يلومونه ، ويرى فيهم (سوى اللؤم) ، فهذه صفة عذاله الذين يكنون له الكره الذي هو ضد الحبّ ، والذي يمثل الطرف الثاني في الثنائية الضدية (الحب والكره) ، فيرى فيهم اللؤم (يُستفادُ ويُشكرُ) من الذين يكرهوه ، ويبغضونه ، فأجاد في وصفهم ببراعة ، وإبداع ، وأتى بثنائية ضدية أخرى (يَخفى- يظهرُ) دلالة على إظهاره بالحبّ تارةً ، وإخفاءه تارةً أخرى ، والشاعر يمر بأزمة نفسية صعبة سببها الحبّ ، وشبحه الذي يظهر ، ويختفي ، وصرح بـ(ولا تَعذلوني) ، فهو يريد من العذال ترك اللوم ، والعتاب في (الصَّبابةُ) ، ووظف التصريع في مطلع القصيدة ، فأدى إلى توازن دلالي، وإيقاع موسيقي ، ونسق أكثر جمالاً ، ووظف (إنَّ) للتوكيد ، وأشار إلى (الذي حملتموه ملامكم)، فأراد إرسال رسالة إلى الذين يلومونه من العذال ، والحاسدين ، وهذه تلقي بآثارها على نفسية الشاعر ، وما يعانيه ، وتبرز ذات الشاعر ، فتظهر ثنائية (الأنا والآخر) ، والآخر المتمثلة بالذين يلومنه ، فهو (فتىً ظهرُهُ) ، إذ تحمل الكثير من الهموم ، والمشاكل التي تؤثر في أعماقه ، وتؤدي إلى تأزم الذات ، واضطرابها ، ويرسم لنا صورة (من حادثِ الدهرِ) ، فيبدو أن الدهر أصابه ، فجعله يعاني من تلك الحادثة ، ويؤطر الصورة بانعكاس جميل مع تماوج خلجاته ، ومشاعره ، وغالباً ما يصور الدهر في قصائده ، فتأتي صوره جميلة تنم عن تجربته الشعرية ، وإبداعه الفني ، ووظف الجناس الاشتقاقي بين (ملامكم – تلومون) ، فأحدث حساً موسيقياً ، وزيادة في التنغيم الإيقاعي ، ووظف الأفعال المضارعة (يَخفى – يظهرُ – تَعذلوني – تَعْذرُ – تلومون – يُستفادُ – يُشكرُ) ، وهذا الحشد من الأفعال أدى إلى دلالة الاستمرارية ، والاتصال في الحبّ الذي هو ضد الكره ، وكررّ (فيكم) ، فأضفى على النص نغماً موسيقياً ليزيد من التناسب ، والتقارب في الإيقاع ، ونلمس الثنائية الضدية (الحب والكره) في مطلع قصيدة أخرى قالها يمدح الأمير أبا طاهر محمد بن معز الدولة بويه [15] : **[من البسيط]**

هل رُقيةٌ يستقيلُ الحُب راقيها ... فالطَّبُ يزعُم أنَّ الحبَّ يُعْييهَا ؟
ونفحةٍ من صَبا لُبنانَ خالصة ... تُميتُ غُلَّةَ نفسي أَوْ تُداويهَا
يا دهرُ لا غفلاتُ العيشِ عائدةً ... ولا الشبابُ الذي أَبليتُه فيهَا
وقُرحةٌ في سوادِ العينِ كامنةٌ ... في كل يوم قَذاةُ الدمعِ تَكويهَا

يستهل الأبيات بالاستفهام بـ(هل) ، والاستفهام ملمح أسلوبي غالباً ما يوظفه في شعره ،

ووظف الجناس الاشتقاقي بين (رُقيةٌ – راقيها) ، فأدى إلى جو موسيقي مشحون بطاقة دلالية، وتنغيم إيقاعي ، وكررّ (الحبّ) في موضعين ، فأفاد من هذا التكرار للتنبيه بتناغم موسيقي ، والحب الذي هو ضد الكره ، فجنح عن ذكره الشاعر في ثنائية (الحب والكره) ، ويرى (فالطَّبُ يزعُم)، فأعطى للطب صفة للشكوى من الحبّ ، فهو يأتيه بالمرض ، إذ وظف الثنائية الفرعية (المرض والشفاء) في قوله : (يُعْييهَا – تُداويهَا) ، وأتى بالتصريح في مطلع القصيدة ، وهذا ما نجده في الكثير من قصائده ، إذ أشاع جوًا موسيقيًا في القصيدة ، فكشف عن إيقاع بتنغيم جميل فضلاً عن جمالية القافية ، وهو يريد (ونفحةٍ من صَبا) ، إذ يطمح أن يتنفس من جو (لُبنانَ) ، إذ يبدو له ذكريات جميلة يحب أن يعيشها ، ويتذكرها ، والحبّ ترك أثرًا طيبًا في قلبه في ذلك المكان الجميل ، وقد تجلت ثنائية (الحب والكره) بذكر لفظ الحب ، وتعميقه في النص ، وعبر عن الكره بأثره في نفس متمثلًا بلفظ (الغل) بقوله (تُميتُ غُلَّةَ نفسي) ، وهذا الغلَّ الذي ولده الكره ، وهو أحد طرفي ثنائية (الحب والكره) ، ووظف النداء للدهر بـ(يا دهرُ) ، ورسم صورة شخص الدهر فيها ، إذ ترك العنان لخياله لتنصهر الأفكار في بودقة عطائه الفني ، والإبداعي ، وكرر(لا) النافية في موضعين ، فأعطى نغماً موسيقياً ، وأشار إلى (الشبابُ الذي أَبليتُه) ، فهو يحن إلى المكان الذي قضى شبابه فيه ، إذ يحمل في خلجات نفسه ذكريات جميلة يتمنى الرجوع إليها في أيام الصبا ، ووظف الأفعال المضارعة (يستقيلُ – يزعُم – يُعْييهَا – تُميتُ – تُداويهَا– تَكويهَا) ، فهي دلالة على التجدد ، والاتصال في الحبّ ، الذي هو ضد الكره ، وذكر (تُميتُ – العيشِ) ، فتظهر لنا الثنائية المتضادة (الحياة والموت) ، وغالباً ما يظهر عند الإنسان حبّ الحياة ، وكره الموت ، وأشار إلى (قُرحة) تلك القرحة التي هي (في سوادِ العينِ) ، وهذه دلالة على معاناته التي يبثها (في كل يوم) للتنفيس عن مشاعره ، وأفكاره المتفاعلة مع الحدث ، إذ (قَذاةُ الدمعِ تَكويهَا) ، وهذا الدمع يذرفه في الحبّ في ثنائية (الحبّ والكره) ، وينقلنا إلى قصيدة أخرى قالها يمدح سيف الدولة ، فيقول ابن نباتة السعدي [16] : **[من الطويل]**

لذاك مَقَتُ الحبَّ إلاَّ أقَلَّهُ ... فَلَوْلا الغُلا قلت : المَحَبَّةُ مُوقُ

وما كلُّ ريحٍ في زَمانِكَ زَفْرَةٌ ... ولا كلُّ برقٍ في فؤادكَ فُوقُ

وأصغرُ عيبٍ في زمانكَ أنَّهُ ... بهِ العِلمُ جهل والعَفَافُ فسُوقُ

وكيفَ يُسَرُّ المرءُ فيهِ بِمَطْلَبٍ ... وما فيه شيءٌ بالسُّرُورِ حَقِيقُ

يفتتح الأبيات بالثنائية الضدية (الحب والكره) في قوله : (مَقَتُ الحبَّ) ، فهو يشير

إلى كره الحب ، فيأتي بفكرة يشوبها الغموض ، والغرابة ، والتي مثلت مرحلة اضطراب المشاعر ، وتأزم الذات ، فهو يمثل (الكره) ، وهو أحد طرف الثنائية ، ووظف لفظة (المَحَبَّـةُ) التي تمثل الطرف الآخر للثنائية (الحبَّ) ، موظفاً حرف الامتناع (لَولا) ، ونلمس في قوله : (العُـلا) ، فهو يطمح إلى المكانة الرفيعة في عزّة النفس ، وإرضاء الذات ، والفوز بقلب المحبوبة ، وصرح بـ(المَحَبَّـةُ مُـوقُ) ، فالمحبة لدية تـأتي بـالهلاك ، والموت للإنسان ، وقد وقـع فـي شـرك الأحاسيس المتضادة التي جسدها ، فهي غير متوافقة ، وكرر (مـا) في موضعين للنفي ، وكرر حرف الجر (في) ثلاثة مواضع ، فأحدث جوًا إيقاعًا ، وموسيقيًا ناجمًا عن تردد الأصوات التي وظفها في هذا التكرار ، فأفاد التنبيه ، ولكي يبقينا في نفس إيقاعه الموسيقي ، وكرر (كلُّ) مرتين ، فأدى وظيفة دلالية تكشف عن مستوى ملاءمتها للنص ، وتماسك البنية الشعرية ، وأشار إلى (ريـحٍ فـي زَمـانِـكَ) ، فهو يريد أن يسلط الضوء على جوانب الحياة ، فضرب مثلاً على الريح ، فهي تختلف في هبوبها، واتجاهها ، ويعكسها على الواقع الذي يعيشه ، كذلك (كـلُّ بـرقٍ فـي فـؤادكَ) ، فجاءت بدلالات موحية في الحبّ في ثنائية (الحب والكره) ، ووظف ألفاظ الحب (الـحـبَّ – المَحَبَّـةُ – فـؤادكَ – السُّـرُورِ) ، وكرر (زَمـانِـكَ) مرتين ، والتكرار ظاهر ملموسة عند السعدي تؤتي بمعطيات إيقاعية ، وتسفر ملامح الثنائية المتضادة (الـعِـلـمُ – جـهـل) ، فهو يميل إلى (أصـغـرُ عـيـبٍ) ، ومن المعلوم أنَّ دلالة العلم في ذلك الزمان كما يراه جهلاً ، (والعَفَـافُ فسوُقُ) ، فمن الواضح إنَّه يعيش في زمن انقلبت به الموازين لذلك يرى العفاف ، وتجنب الحرام من الفسوق ، ووظف (كيفَ) الاستفهامية ، وجانس بين لفظتي (يُسَـرُّ – السُّـرُورِ) جناس اشتقاقي يحدث نغماً موسيقياً ، وأعطى إيحاءً إيقاعياً ، ولكي يبقينا بنفس الجو كرر (فيه) مرتين، فمنح النص جرساً موسيقياً ، فأحدث دلالة من تكرار الأصوات كشف عن تفننه ، وإبداعه في تحريك حواس ، ومشاعر المتلقي ، وتظهر الثنائية الضدية (الحب والكره) في قصيدة أخرى صاغها يمدح بها كافي الكفاة إسماعيل بن عباد قال ابن نباتة [17] :**[من الكامل]**

فـكـأَنَّـهُ لـهـم مُـوشِّـحَـةٌ ... طـفـلاً يـلـوح كـأنّـه قَـلْـبُ
يَـدنـو لِـدَرَّتِـهـا فـتـمـنـعـه ... حـبـاً ولـيـس يـضـرُّه الـحُـبُّ
ذكـرتْ ضـغـائـنَـهـا فـمـا اجتَـمَـعَـتْ ... إلاَّ عـلـيـكَ الـعُـجـمُ والـعُـرْبُ
وأَرى قـلـوبـاً غـيـرَ سَـالـمـةٍ ... مَـرِضَـتْ وأَنـتَ بـدائِـهـا طـبُّ

يفتح النص على الصورة التشبيهية ، إذ وظف الأداة (كـأَنَّـهُ) ، وكررها في البيت نفسه ،

فعمد إلى إيراد التشبيه بصورة فنية جميلة ارتبطت بالعنصر الحسي المتمثلة بحركة (طفلاً يلوح) ، وأراد الائتلاف في التشبيه بين الأشياء ليحدث العجب في النفس ، وأتى بالمشبه به (قَلْبُ) ، والقلب يدل على الحبّ الذي هو ضد الكره ، وصرح (يَدنو لِدَرَّتِها) ، وهذا الدنو يكون في الحبّ ، وجانس بين لفظتي (حباً – الحُبُّ) جناس اشتقاقي دلالة على المحبة عند الشاعر ، وليزيد من التنغيم في النص ، كما أن (الحبّ) أحد طرفي الثنائية الضدية (الحب والكره) ، ووظف الفعل الماضي الناقص (ليس) لنفي الحال المتجدد في (يضرُّه الحُبُّ)، فهو ينفي أن يأتي من الحبّ مضرّة ، فهو لم يصرح بالكره ، بل تجلت ثنائية (الحبَّ والكره) بما يدلل عليها ، أو بما يتمثل بصفة من صفاتها (الضغائن) أي الأحقاد الدالة على الكره ، فكانت الثنائية (الحب – الضغائن) حاملة المدلول على (الكره والحب) ، وهذا تكثيف معنوي ، وأراد حضورها في إثارة ذهن المتلقي، وأشار إلى (الحُبُّ – ضغائنَها) ، لتتجلي الثنائية المتضادة (الحب والكره) ، ويراها أنها اجتمعت على ممدوحه ، فجاءت تلك الضغائن من (العُجمُ والعُرْبُ) ، وهذا الكره يولد الأحقاد ، والعداوة ، ووظف الفعل المضارع (أرى) ، وهو يعبر عن رؤيته في (قلوباً) ، فهذه القلوب (غيرَ سَالمةٍ) ، فهي تحمل الكره ، وجانس بين لفظتي (قَلْبُ – قلوباً) ليضفي على النص تناغماً موسيقياً يطرب آذان السامع ، فضلاً عن أنه أحد أغراض الحب ، والكره ضمن الثنائية الضدية (الحب والكره) ، وإن الحبّ لا يجتمع مع الكره في قلبٍ واحد ، ووظف ألفاظ الكره (يضرُّه – ضغائنَها – غيرَ سَالمةٍ – مَرِضَتْ – بدائِها) ، كما أنه وظف ألفاظ الحب ، والغزل (قَلْبُ – حباً – الحُبُّ – قلوباً) ، وهذه أعطت حركة للمعاني التي تحملها كشفت عن ذات الشاعر ، وأعطت صورة في تقوية النص ، إذ استمر جو التضاد ، فذكر الثنائية المتضاد (سَالمةٍ – مَرِضَتْ) دلالة على أن القلب إذا كان سالماً يحيا في الحبّ ، وإذا مرض كان ينبض بالكره ، ولينفذ من خلالها إلى ثنائية ضدية أخرى (بدائِها – طبُّ) ، فشكلت منعطفاً فكرياً ، ونفسياً تنم عن وجدان الشاعر المتحولة بأحاسيسه نحو الآخر ، فالحب الحل الأمثل في تلك الثنائية ، تظهر الثنائية الضدية (الحب والكره) ، فكيف يكون ممدوحه قبل الغرام ، وبعده ؟ في مطلع قصيدة أخرى صاغها يمدح بها كافي الكفاة إسماعيل بن عباد ، فيقول السعدي [18] : **[من الطويل]**

إذا كانَ عن فَرطِ المَلالِ التَّفَرُّقُ ... فانَّ النّوى بي من سُلُوكَ أرفقُ

وأي فتى قبل الغرامِ وبعدَهُ ... تمنَّى الذي منه يَخافُ ويشفِقُ

وما خلتُ أَنَّ الشوقَ والنأيَ والبكا ... وفقدَ الكَرى مما أَلَذُّ وأَعشقُ

أَخِيبُ ويَحظى بالغنيمةِ عاجزٌ ... ولا يَعْدَمُ النُّجحَ المُعَانُ الموفَّقُ

استهل الأبيات بـ(إذا) الشرطية ، ووظف (كانَ) الفعل الماضي الناقص ، وصرح (فَـرطِ المَـلالِ التَّـفَرُّقُ) ، ويحيلنا هذا التفريق إلى طرف الثنائية الكره الذي هو نقيض الحبّ مع تأزم نفسي ، وقطيعة ، والانفصال عن المحب ، وذكر (أَعـشــقُ) الذي يمثل الطرف الثاني من الثنائية المتضادة (الحبَّ والكره) ، وصرح بـ(النّــوى) ، فذلك البعد بين المحبين زاد في حدّة الموقف لتقضي على الحبّ ، وأتى بـ(انَّ) للتوكيد ، ووظف التصريع بين الضرب ، والعروض بلفظتي (التَّـفَرُّقُ – أرفـقُ) ، فأحدث توازناً دلالياً بين المصرعين ، فعبر عن التفنن في حركة القافية ، فأنتج ذوقاً موسيقياً ، وظف (أي) للنداء القريب ، وهو يريد من (فـتــى قبـل الـغـرامِ وبـعـدَهُ) ، فهو قبل الغرام يكون خالياً من الحبّ ، وبعده يكون قلبه أمتلأ بالحبّ ، فتنجلي لنا الثنائية المتضادة الفرعية (قبل – بعد) ، وتكون ذات الشاعر قد مضت مدّة من الزمن في الحبّ ، وتعلقت به ، فـ(تـمنَّـى الـذي منـه) ، وهذه دلالة على الآمال ، والأمنيات التي يطمح تحقيقها تجاه المحب ، إذ (يَـخـافُ ويـشفِـقُ) ، وهذا الخوف يأتي من الفراق ، والهجر ، وتحول الحبّ إلى كره في ثنائية (الحب والكره) ، وعمد إلى توظيف ألفاظ الحبّ في النص منها (الـغـرامِ – الشوقَ – أَعـشــقُ) ، ثم يأتي بمعنى آخر ، (وما خلتُ) ، فهو لم يحسب ما يدور في القلب من (الشوقَ والنـأيَ والبكـا) ، فهنا نرى شوق الشاعر ، ودمعه على خده ، وظهور أحاسيسه جلّية في هذا الموقف الذي أوصله إلى ، (فـقـدَ الـكَـرى) ، فجعله يفقد النوم ، ويطيل السهر ، وهذا حال العاشقين في الحبّ ، وعلى الرغم من تلك المعاناة ، فهو يجد (مـمـا أَلـذُّ) ، وهذه اللذة، والمتعة ، والشمائل التي تميل إليها النفس الإنسانية ، وترغب بها ، ووظف الأفعال المضـارعة (أرفـقُ – يَـخـافُ – يشفِـقُ – وأَعـشــقُ – أَخِـيـبُ – يَحظـى – يَعْـدَمُ) ، فهي دلالة على التجدد ، والاتصال في الحب لدى ابن نباتة السعدي ، فيجد المتعة ، والذَّ ، ويعمد إلى جو التضاد في الثنائية الضدية (أَخِـيـبُ – يَحظـى) ، فهو يخيب ، ولم يحالفه الحظ ، وغيره يحظى (بالـغـنيـمةِ) ، وكشف لنا عن صورة واضحة في الحبّ ، فهي ترمز إلى مشاعره ، وحاله في الحبّ ، فيخيب ، ويفوز (عاجزٌ) بما يصبو إليه ، وتستمر ثنائية (الحب والكره) في أشعار ابن نباتة السعدي في قصيدة صاغها يمدح بها أبا العلاء صاعد بن ثابت [19]: **[من الطويل]**

تَـعَشَّـقْتُ فيـه كلَّ شــيءٍ يَـــودهُ ... مـن الـجـورِ حـتـى بـتُّ أَعشَـقُ صـدَّهُ
تَـخـطـى إلـىَّ الـلـيـل يـدفَـعُ صَـدرَهُ ... مـــراراً وأحـيـانـــاً يـــمـــزِقُ بُـــردَهُ
عَـجِـبْتُ لَـهُ يُخفي سُـراه وَوَجْـهُـهُ ... بـــه تُـشـرِقُ الـدُّنـيـا وبـالـشَّـمـسِ بَـعْدَهُ
ولابـدَّ لـي مـن جَـهـلَـةٍ فـي وصِـالـهِ ... فَـمـن لـي بـخـلٍ أُودِعُ الـحِـــلْـمَ عِـنْـدَهُ ؟

وما النَّاس الاَّ باخِلٌ بِتُراثِهِ وأَبخَلُ منه مِنْ تَطَلَّبتَ عَهدَهُ

يبدأ ابن نباتة أبياته بطرف الثنائية بلفظة الحب (تَعَشَّقْتُ) ، فهي دلالة على حبه ، وتوددِه إلى (كلَّ شيءٍ يَودهُ) ، فهو لا يرى شيئاً فيه يكرهه ، فجعله ذلك العشق يرى محاسنه، ثم يتحول ، ويصرح (من الجورِ) ، فتغير ذلك الحبّ من جراء الظلم الذي واجهه ، فتنقلب تلك المحبة إلى هجر ، وصدود حتى صار (أَعشَقُ صدَّهُ) ، والصدَّ يأتي من الكره ، الذي هو ضدّ الحبّ ، فتبرز ثنائية (الحبَّ والكره) الذي لم يصرح بها ، ولكن أتى بمرادفاتها ، ووظف (حتى) بمعنى إلى ، وجانس بين لفظتي (تَعَشَّقْتُ – أَعشَقُ) الجناس الناقص ، فأحدث مدلولاً لفظياً بأسلوب موسيقي ، وإيقاع داخلي ، وذكر (تَخطى إلىَّ الليل) ، فأتى بالليل ، وعدل عن ذكر النهار ، ولكن أشار بـ(تُشرِقُ) ، والشروق هو أول النهار ، وأراد بالشروق وجه ممدوحه ، فالدنيا تشرق به ، ثم بعد ذلك بالشمس ، وكرّر (لي) في موضعين ، فأفاد من تكرار الأصوات نغماً موسيقياً ، وأشاع جو التضاد في النص ، فوظف الثنائية الضدية (جَهلَةٍ – الحِلْمَ) ، والجهل الذي يأتي من السفه الذي هو ضد الحلم ، فيريد الشاعر من الحبيب أن (أُودِعُ الحِلْمَ عِنْدَهُ) ، ويبدو اهتمامه بمناجاة الحبيب ، فأراد تعبير الرمزي ، فقد وصل إلى مرحلة يفقد عقله بها ، ووظف أداة الاستفهام (مَن) ليستفهم عن (خلٍّ) لا ينقطع حبل الوصال عنه ، وأتى بألفاظ الحبّ (تَعَشَّقْتُ – يَودهُ – أَعشَقُ – بخلٍّ) ، فهي دلالة على جنوحه إلى الحبّ كي ينعم مع الحبيب بسعادة ، واستمرار الوصال معه ، ووظف الأفعال المضارعة (يَودهُ – أَعشَقُ – يدفَعُ – يمزِقُ – يُخفي – تُشرِقُ) ، وهي دلالة على الاستمرار ، والاتصال مع المحبوب كذلك وظف الأسماء (الجورِ – الليل – صَدرَهُ – الدُّنيا – الشَّمسِ – جَهلَةٍ – الحِلْمَ – النَّاس) ، فهي دلالة على الزمن الذي قضاه مع المحب ، ونجد القصر بالنفي ، والاستثناء (ما ... الاَّ) ، وهو من أقوى صيغ التوكيد ، والحصر ، وكرر حرف الجر (من) في ثلاثة مواضع، فأفاد تناغماً صوتياً موسيقياً ، وجانس بين لفظتي (باخِلٌ – أَبخَلُ) ، فأحدث جرساً موسيقياً بأنغم إيقاعية ، ويبقى الحوار الضدي ظاهراً في شعره ليجسد ذات الشاعر .

الخاتمة

1 – تتجلي ثنائية الحب والكره في شعر ابن نباتة ، فكان الحبّ بين البشر ، فمثل بينه ، وبين المحبوبة ، فظهرت انفعالات عاطفية ، ووجدانية .

2 – وفي الكرّه عبر الشاعر عن الضغائنِ ، والأحقاد المتفشية بالمجتمعِ بما تحمل مِن دلالات مختلفة لمّا طوعها في شعره في غير الكره بين الناس .

3 – وقد عبر الشاعر عن همومه ، ولم يذكر نزواته ، أو مغامراته في أيام الصبا، فكان التأرجح بين الحب ، والكره يمثل طاقة فكرية ، وتأملات نفسية .

4 – إن ثنائية الحبّ والكره جسدها الشاعر ، وأعطاها مفهوماً منسجماً مع إبداعه، فجعل له في الحبّ شبح ، ويجد في الحبِّ ذلٍّ ، وكذلك في الكرّه ، فجاء (فابغض الحبّ) ، و(مقَت الحبّ) ، و(الضغائن) ، فكان يذكر طرفي الثنائية بمرادفاتها ، أو بشكل صريح .

5 – عبرت ثنائية (الحب والكره) ، عن أحوال المجتمع العباسي ، فبالرغم من إنَّ الشاعر مقل في قصائده الغزل إلا أنَّه نجد حضوراً لهذه الثنائية بما تحمل طابع فكري ، وفني .

6– ربط ابن نباتة الحب والكره بالانفعالات النفسية ، والمشاعر الوجدانية الشعورية واللاشعورية ، ويمكن للمتلقي تذوقها ، ورصد حالاتها ، وتأثيراتها الدلالية ، وسياقية والكشف عن مقصديه الشاعر .

Sources and references

(1) Contemporary Arabic poetry, its artistic and moral issues and phenomena, d. Izz al-Din Ismail, Dar al-Fikr al-Arabi - Beirut, 3rd edition, (d. T), 28-29.

(2) Sahih Muslim, Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Nisaburi (d. 261 AH), No. 2638, 4/2031.

(3) Image between rhetoric and criticism, d. Ahmed Bassam Saei, Al-Manar for Printing, Publishing and Distribution - Damascus, Edition 1, 1404 AH - 1984 AD, 17.

(4) Modern literary criticism origins and trends, d. Ahmed Kamal Zaki, The Egyptian General Book Authority - Cairo, (Dr. i), 1972 AD, 57.

(5) Contrasting dualities in the poetry of the veterans, Nidal Ahmed Baqer, PhD thesis - University of Baghdad, 1429 AH - 2008 AD, 55.

(6) Surat Al-Baqarah, Verse 165.

(7) Poets of creativity in the third and fourth centuries of migration (a stylistic study), a. Dr.. Youssef Tariq Al-Samarrai, Al-Farabi Press - Baghdad, Edition 1, 1434 AH - 2013 AD, 32.

(8) See: The motives of the image among the poets, the first class of pre-Islamic era according to Ibn Salam (died 231 AH) (The motives of anger), Hussein, Abdullah Jassim, Journal of Tikrit University for Human Sciences, Volume (28), Issue (3), 2021 AD, 7.

(9) The Origins of Literary Criticism, Ahmed Al-Shayeb, The Egyptian Renaissance Library - Cairo, 8th edition, 1973 AD,

(10) See: Diagnosis and its role in the dramatic construction in the price of Muhammad Al-Qaisi, d. leqaa Nuzhat Suleiman, Journal of Tikrit University for Human Sciences, Volume (23), Issue (5) May 2016, AD, 591.

(11) Literary image: Mustafa Nasif, Dar Al-Andalus - Cairo, 2nd edition, 1981 AD, 124.

(12) The artistic image in the hadith of the Prophet, d. Ahmed Yasouf, credit: a. Dr . Muhammad Saeed Al-Bouti, presented by a. Dr . Nour al-Din Atr, Dar al-Maktabi - Syria - Damascus, 2nd edition, 1427 AH - 2006 AD, 121.

(13) The Diwan of Ibn Nabatah Al-Saadi, edited by: Abdul Amir Mahdi Habib Al-Tai, Dar Al-Hurriya - Baghdad, (d. i), 1397 AH - 1977 AD, 1/315.

(14) same source , 457 – 458 / 1 .

(15) same source , 475 / 1 .

(16) same source , 194 – 195 / 1 .

(17) same source , 228 / 2 .

(18) same source , 230 – 231 – 2 .

(19) same source , 338 / 1 .